الصحراء

للأستاذ أنور العطار

سَرَبَتْ فى رِحَابِهَا قِصَصُ الحُـــبِّ وَغَنَّتْ فى شَاطِئَيْهَا الرِّمَالُ
مَا ثَنَتْهَا الأَحْقَابُ عَنْ مُتَعِ الشَّدْ ـوِ وَلَا طَافَ بِالنَّشِيدِ مَلَالُ
تَتَغَنَّى والكَوْنُ نَشْوَانُ بِاللَّحْـــنِ فَتَهْتَزُّ فى الأَقَاصِي الجِبَالُ
وَتَضِجُّ الوِدْيَانُ بِالنَّغَمِ البِكْـــرِ وَتَزْهَى أَغْوَارُهَا والدِّحَالُ
نَغَمَاتٌ أَصْغَتْ إِلَيْهَا اللَّيَالِى وَوَعَتْهَا العُصُورُ وَالأَجْيَالُ
فَإِذَا العَالَمُ ابْتِسَامٌ وَصَفْوٌ وَرَبِيعٌ مُنَضَّرٌ مِخْـــلَالُ
وَإِذَا الكَائِنَاتُ يَغْمُرُهَا النُّـــو رُ وَيَطْفُو عَلَى مَدَاهَا الجَلَالُ
حَفَلَتْ سَاحُهَا بِخَيْرِ الرِّسَالَا تِ وَسَحَّ النَّدَى وَفَاضَ النَّوَالُ

* * *

المُرُوءَاتُ لَمْحَةٌ مِنْ سَنَاهَا والبُطُولَاتُ والحِجَا والكَمَالُ
مِلْءُ أَفْيَائِهَا السَّخَاءُ المُنَقَّى مِلْءُ أَعْطَافِهَا السُّرَى والنِّضَالُ
كَرُمَتْ عُنْصُراً وَطَابَتْ نِجَاراً وَصَفَتْ كَالنَّمِيرِ فِيهَا الخِلَالُ
فَهْىَ مَهْدُ النَّجْوَى وَمُنْبَثُّ النُّو رِ وَدُنْيَا تَرُودُهَا الأَبْطَالُ
مَا عَنَاهَا إِنْ شَحَّتِ الأَرْضُ بِالخَيْـــرِ إِذَا لَمْ تَشِحَّ فِيهَا الخِصَالُ
لَيْسَ يَحْيَا فِيهَا الضَّرَاعَةُ والذُّلُّ وَلَا يَصْحَبُ العُلَا إِذْلَالُ
لَا تَطِيبُ الحَيَاةُ تَطْفَحُ بِالبُؤْ سِ إِذَا لَمْ يَهُزَّهَا اسْتِبْسَالُ
حُرَّةٌ تُنْجِبُ الفَطَارِفَةَ الصِّيـــدَ فَلَا عَاجِزٌ وَلَا سَأَلُ
كُلُّهُمْ كَادِحٌ نَمَتْهُ الدَّرَايَا تُ وَزَانَتْ أَقْوَالَهُ الأَفْعَالُ
يَغْنَمُ العَيْشَ خَالِصاً لَمْ يُهَجِّنْـــ ـهُ ابْتِذَالٌ وَلَمْ يَعِبْهُ اتِّكَالُ
والهَنَاءَاتُ شِرْعَةٌ لَمْ يَرِدْهَا خَائِرُ العَزْمِ ، والهَنَاءُ اهْتِبَالُ

* * *

هَاهُنَا الشِّعْرُ والرَّحِيقُ المُصَفَّى هَاهُنَا السِّحْرُ واللَّيَالِى الخِضَالُ
هَاهُنَا النَّاسِرُ المُضَمَّخُ بِالعِطْـــرِ وَلِلحُبِّ فى حِمَاهُ اخْتِيَالُ
هَاهُنَا قَبَسٌ يُسْكِبُ الرُّوحَ أَنْغَا مَاً وَعَبْسُ المُتَيَّمِينَ ابْتِهَالُ
شَجَنٌ صَارِخٌ وَيَأْسٌ مُذِيبٌ وَحُظُوظٌ سُودٌ وَدَمْعٌ مُذَالُ
ضَائِعٌ فى مَجَاهِلِ الأَرْضِ تَبْكِى لِبُكَاهُ الآثَارُ وَالأَطْلَالُ
يَسْأَلُ النَّجْمَ أَيْنَ لَيْلَايَ يَا نَجْـــمُ وَلَا يُهْدِيِ المُحِبَّ السُّؤَالُ
تَتَنَاجَى الرِّمَالُ إِنْ هُوَ غَنَّى وَتَرَامَى كَأَنَّهَا الأَطْفَالُ
يُرْسِلُ الشِّعْرَ حَافِلاً بِالخَيَالَا تِ كَمَا تُرْسِلُ الرُّؤَى الآصَالُ
تَتَنَزَّى أَضْلَاعُهُ مِنْ جَوَى الحُـــبِّ وَدَاءُ الهُيَامِ دَاءٌ عُضَالُ
يَالَهُ شَارِداً تَقَاذَفُهُ البِيـــدُ وَيَطْوِيهِ ضَعْفُهُ وَالكَلَالُ

* * *

لَمَعَتْ فى القِفَارِ هَلْهَلَةُ الفَجْـــرِ ، وَلِلفَجْرِ مِطْرَفٌ هَلْهَالُ
فَعَلَى الرَّمْلِ مِنْ رُؤَاهُ تَهَاوِيـــلُ وفى الأُفْقِ جَدْوَلٌ سَلْسَالُ
والنَّعَامَاتُ مَاتِنِي مُجْفِلَاتٍ وَلَقَدْ زَانَ حُسْنَهَا الإِجْفَالُ
هِىَ فى بَسْمَةِ الصَّبَاحِ أَبَادِيـــدُ وفى مَوْجَةِ الضُّحَى أَرْسَالُ
تَتَحَرَّى مَوَاقِعَ المَاءِ عَجْلَى لَاهِفَاتٍ وَوِرْدُهَا الأَوْشَالُ
صَغُرَتْ رُقْعَةُ الفَلَاةِ بِعَيْنَيْـــهَا وَقَلَّ المَدَى وَضَاقَ المَجَالُ
تَنْهَبُ العُمْرَ فى مُسَابَقَةِ الظِّلِّ فَيَضْوِى أَرْوَاحَهَا الإِرْقَالُ
قُلْتَ مَجْنُونَةٌ أَطَافَ بِهَا الذُّعْـــرُ فَمَا تَسْتَقِرُّ فِيهَا الحَالُ
عَيْشُهَا كُلُّهُ عَنَاءٌ وَكَدٌّ وَانْتِوَاءٌ لَا يَنْقَضِى وَارْتِحَالُ
زَحَمَتْ فى وَجِيفِهَا مَنْكِبَ الرِّيـــحِ وَضَاعَتْ كَمَا تَضِيعُ الظِّلَالُ
فَهْىَ خَطٌّ فى مُصْحَفِ الأُفْقِ نَاءٍ غَيَّبَتْهُ الأَبْعَادُ وَالأَطْوَالُ

* * *

عَنْ يَمِينِى وَعَنْ شِمَالِى رِمَالٌ قَلَقَاتٌ مُرَوَّعَاتٌ نِهَالُ
يُوشِكُ الهُلْكُ أَنْ يُصَافِحَ عَيْـــنَىَّ وَبِى مِنْهُ رِعْدَةٌ وَانْذِهَالُ
هَاهُنَا المَوْتُ كَالِحُ الوَجْهِ بَادٍ وَلَهُ جُرْأَةٌ وَفِيهِ صِيَالُ
لَطَمَتْ خَدَّهَا الجَنُوبُ مِنَ الذُّعْـــرِ وَجُنَّتْ مِنَ الصُّرَاخِ الشَّمَالُ
وَالمَنَاحَاتُ فِى الرِّيَاحِ تَوَالَى لَمْ يَفُتْهَا الإِرْنَانُ وَالإِعْوَالُ

* * *

دَارَةٌ لِلعَوَاصِفِ الهُوجِ تَلْهُو فِى حِمَاهَا الخُطُوبُ وَالأَهْوَالُ
تَتَلَظَّى الرِّمَضَاءُ فِى سَاحَتَيْهَا وَلَهَا فِى دَمِ الشُّمُوسِ اغْتِسَالُ
تَتَدَجَّى الدُّنْيَا وَتَصْطَخِبُ الأَرْ ضُ وَتُرْغِى فِيهَا الشُّجُونُ الثِّقَالُ

وَهْيَ غَلْفَاءُ مَا يُعَاوِدُهَا الرُّعْـ ... ـبُ وَلَيْسَتْ تَرُوعُهَا الأَوْجَالُ
لاتَنَالُ النَّكْبَاءُ مِنْ عَزْمِهَا الثَّبْـ ... ـتِ وما إِنْ يَهِيجُهَا زِلْزَالُ
جَثَمَتْ فِي فَضَاءِ رَبِّي شَمَّا ، وَتَاهَتْ كَأَنَّهَا الرِّئْبَالُ

* * *

أَفَتُ الكُتْبُ مَا تُبِينُ مِنَ البُهْـ ... ـرِ وَنَشَّتْ مِنَ الظَّمَاءِ التِّلَالُ
هَمَّتِ الكَائِنَاتُ واحْتَدَمَ الحَرُّ ... وَذَابَ الحَصَا وَسَالَ الضَّالُ
نَظَتْ رُوحَهَا الهَجِيرُ مَلَالاً ... وَتَرَاخَتْ مِنَ اللُّهَاثِ الرِّئَالُ
أَكُلُ الحَرِّ لَحْمَهَا وَهْيَ صَرْعَى ... مِثْلَمَا تَأْكُلُ الشُّمُوعَ الذُّبَالُ
هْيَ هَلْكَى عَلَى فِرَاشٍ مِنَ الجَمْـ ... ـرِ بَرَاهَا شُحُوبُهَا والهُزَالُ

* * *

هَذَا السَّرَابُ يَا صُورَةَ الدُّنْـ ... ـيَا تَهَاوَتْ فِي لُجِّكِ الآمَالُ
لُتِ لِي تَزْدَهِيكِ بِيضُ الأَمَانِي ... فَارْتَوَى خَاطِرِي وَرَفَّ الخَيَالُ
لَقَتْ مُهْجَتِي بِلَأْلَائِكِ الفَمْـ ... ـرِ وَأَغْنَى بِنَاظِرِيَّ الزِّلَالُ
بِتِ فِي رُؤَاكِ قَافِلَةُ العُمْـ ... ـرِ وَأَوْدَى بِهَا الأَذَى والمَطَالُ
نْزَلْ تَرْتَمِي عَلَى المَاءِ هَيْمَى ... وَهْوَ نَاءٍ لَا يَدَّنِيهِ مَنَالُ
خَصَتْ مُقْلَتِي وَضَلَّ ضَلَالِي ... وَمِنَ الحُبِّ فِتْنَةٌ وَضَلَالُ
سَلِّ بِنَا الأَعَالِيلُ جَذْلَى ... وَالأَعَالِيلُ مِحْنَةٌ وَخَبَالُ
يَرُدُّ الإِعْيَاءُ عَنَّا التَّشَكِّي ... لَا وَلَا يَصْرِفُ العَذَابَ مَقَالُ
ضْحَكِي يَا رِمَالُ مِنْ خُدَعِ الآ ... لِ فَقَدْ يُضْحِكُ القَطِينَ الآلُ
رْقُصِي فِي مَجَاهِلِ البِيدِ حَتَّى ... تَتَمَايَا الجِنَّانُ وَالأَغْوَالُ
سْرَحِي فِي سَوَانِحِي وَخَيَالِي ... لَيْسَ يَثْنِيكِ عَنْ مَرَامٍ مُحَالُ
طْمِسِي هَذِهِ القُيُودَ لِأَحْيَا ... رُبَّمَا أَفْنَتِ المُنَى الأَغْلَالُ
عِينِي أَعِشْ كَمَا انْتَفَضَ الطَّلُّ ... وَرَفَّ السَّنَا وَمَاجَ الزُّلَالُ
كَمَا غَرَّدَتْ عِشَاشُ القَمَارِي ... وَتَغَنَّى فِي الوِهْدَةِ الشَّلَّالُ

* * *

فْسُ القَلْبُ فَاذَّكَرْتُ بِلَادِي ... وَبِلَادِي الحُقُولُ والأَدْغَالُ
لَادِي الأَنْهَارُ تَهْتِفُ سُكْرَى ... والنَّدَى السَّمْحُ والسَّلَافُ الحَلَالُ
يَاضُ اللِّطَافُ تَعْبَقُ بِالعِطْـ ... ـرِ حَتَّاهَا الأَفْيَاءُ والأَظْلَالُ
نَابِيعُ حُفَّ بِالأَنَاشِيدِ تَرْتَاحُ فِيهَا السَّنَا والبِلَالُ
لَا يُرَوِّعْكَ مَدْمَعِي وَهُيَامِي ... أَنَا سِرُّ الهَوَى وَأَنْتِ الجَمَالُ
تَرَاءَى لِنَاظِرِي مِنْكِ أَرْوَا ... حٌ رِقَاقٌ يَلَذُّ مِنْهَا الوِصَالُ
فَأَنَاجِي وَمَا أَمَلُّ التَّنَاجِي ... وَأُغَنِّي وَلِلْهَوَى اسْتِرْسَالُ
وَبِنَفْسِي لَحْنٌ حَبِيبٌ يُسَلِّيـ ... ـنِي وَحُلْمٌ يَهْفُو إِلَيْهِ البَالُ
وَتَصَاوِيرُ مِنْ رِبَاعِيَ شَتَّى ... مَالَهَا الدَّهْرَ فِي الوُجُودِ مِثَالُ
هِيَ سَلْوَايَ إِنْ أَظَلَّنِيَ الهَمُّ ... وَمَادَتْ بِيَ الخُطُوبُ الطِّوَالُ
نَهِلَ الحُبُّ مِنْ مَنَاعِمِهَا الزَّهْـ ... ـرِ وَضَاءَتْ بِسِحْرِهَا الأَشْكَالُ
فَهْيَ فِي العَيْنِ صُورَةٌ لَيْسَ تُمْحَى ... نَامَ عَنْهَا البِلَى وَأَغْفَى الزَّوَالُ
وَهْيَ فِي القَلْبِ فَرْحَةٌ عَمَلَأَ القَلْـ ... ـبَ فَتَطْوِي بِحُلْمِهِ الآجَالُ
يَارِبَاعَ الخُلُودِ عَاشَ لَكِ السَّعْـ ... ـدُ وَلَا زَالَ خِدْنَكِ الإِقْبَالُ
أَنْتِ مِنِّي الحُلْمُ الَّذِي أَشْتَهِيهِ ... وَيُجَنِّي وَمَفْزَعِي وَالمَآلُ

* * *

أَيُّهَذَا القَفْرُ الَّذِي ادَّرَعَ الهَوْ ... لَ وَغَابَتْ فِي صَمْتِهِ الآزَالُ
أَنَا فِي كَوْنِكَ الرَّحِيبِ نِدَاءٌ ... أَخْفَتَتْهُ الأَوْجَاعُ وَالأَعْلَالُ
تَتَرَامَى بِيَ الهُمُومُ العَوَاتِي ... والشَّجَا المُرُّ والأَذَى والنَّكَالُ
أَتْعَبَتْنِي المُنَى وَمَا زِلْتُ أَشْقَى ... وَأُغَنِّي وَلِلْمُنَى بَلْبَالُ
وَبِقَلْبِي دَاءٌ عَيَاءٌ قَدِ اسْتَعْـ ... ـصَى وَجُرْحٌ لَا يَعْتَرِيهِ انْدِمَالُ
وَجَنَاحُ الحَيَاةِ مِنِّي مَهِيضٌ ... لَا تُقَوِّيهِ رِحْلَةٌ وَانْتِقَالُ
فَلَعَلِّي أَبِلُّ فِي جَوْبِيَ البِيـ ... ـدَ وَمَا يُرْتَجَى لِيَ الإِبْلَالُ
خَاطِرِي مِنْ أَذِيَّةِ الدَّهْرِ مَكْدُو ... دٌ وَجِسْمِي مِنَ الضَّنَى أَسْمَالُ
أَقْطَعُ العُمْرَ فِي غِمَارِ الرَّزَايَا ... وَحَيَاتِي زَهَادَةٌ وَاعْتِزَالُ

* * *

يَا رِمَالَ الآبَادِ مَا آدَكِ الـ ... ـعَيْرُ وَلَا هَدَّ عَزْمَكِ التِّرْحَالُ
أَبَدًا تُوغِلِينَ فِي المَجْهَلِ النَّا ... ئِي وَمَا إِنْ يَرُوعُكِ الإِيغَالُ
غَابَ فِي يَمِّكِ الرَّهِيبِ أَخُو القَفْـ ... ـرِ وَطَاحَ المُسَافِرُ الجَوَّالُ
هَدَأَ الدَّهْرُ مِنْ نِضَالِكِ تَعْبًا ... نَ وَمَا نَالَ مِنْ قُوَاكِ النِّضَالُ
أَنْتِ لَحْنٌ مِنَ الخُلُودِ نَقِيٌّ ... وَنَشِيدٌ مِنَ البَقَاءِ حَلَالُ

أنور العطار